كَلِمَةُ الزَّهراء (ع)

خُطْبة الزَّهراء في أحدث قصيدة شِعْريّة

السيّد عبّاس المدرسّي

كَلِمَةُ الزَّهراء (ع)

خُطْبة الزَّهراء في أحدث قصيدة شِعْريّة

السيّد عبّاس المدرسّي

مؤسّسة عاشوراء

Ashura Foundation

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أنـــا للزّهـــراء أُهـــدي قلمـــي هـــي وحـــي وشـــعوري ودمـــي
أنـــا لا أعـــرف إلاّ حبّهـــا وإلى دِفءٍ ولاَهَـــا أَحتَمِـــي
هـــي مـــن روح النـــبيّ المصـــطفى وإليهـــا أنـــا روحـــي تنتمـــي
وهـــي الجـــوهرةُ الفـــردُ الـــتي خصّـــها الله بكـــلِّ القِـــيَمِ
إن تســـدْ مـــريمُ في أُمّتهـــا فلقـــد ســـادت جميـــعَ الأُمـــمِ
نســـبي منهـــا ومنهـــا حَسَـــبي وكفـــاني العِـــزّ أنّي فـــاطمي

الفصل الأوّل

بين يَدَي الخطاب العظيم

بقدّها النحيل، وصوتها المضمّخ بالألم، وبعقلها النيِّر الكبير، وقلبها الشجاع البصير.. وقفت فاطمة الزهراء تلقي خطابها العظيم في مسجد أبيها رسول الله (ص) بالمدينة؛ لتجلو درب الرسول الذي رشّ النور على درب الإنسان، وضوّى برسالته أبعاد الزمان والمكان، ولكي ترفع عن كاهل الإسلام ظلم الظالمين وعدوان المغتصبين، ولتهزّ الأرض من تحت أقدام المستبدّين الحاكمين وحتى قيام الساعة.

إنّ خطاب الزهراء فاطمة (ع) في مسجد أبيها محمد (ص) احتجاجاً على غصب (**فدك**) لم يكن مجرّد صرخة في وجه الظلم، بل كان بالدرجة الأُولى (تعرية) لمنهج خاطئ، و (إنذاراً) لمستقبل خطير

تترقّبة الجزيرة العربية، جزاء زحزحة الوصي عن زعامة الأُمّة بعد الرسول الأعظم.

لقد جاء الخطاب في المسجد النبوي، وبجوار قبر المصطفى محمد (ص) ليسجل اعتراض المسجد النبوي، الذي كان دائماً محور الهدى الديني - على **(سقيفة بني ساعدة)** الذي جرى تحت سقفه أوّل مؤامرة على خط المسجد، وخط باني المساجد رسول الله محمد (ص).

لم تكن فاطمة من النوع الذي يقيم لحطام الدنيا وزناً - وهي التي أهدت حتّى ثياب عرسها لسائلة مسكينة ليلة الزفاف - وهي التي شهد القرآن لها ولآلها في سورة (هل أتى) بالإيثار في سبيل الله ولو كان بهم خصاصة، وهي التي شهدت لها آية التطهير: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) بالصدق والعفّة، ولكنّ اغتصاب **(فدك)** كان حجّة على الذين غصبوا الخلافة، وسنداً واضحاً يدين فعل (المغتصِبين).

لقد أثبتت الزهراء (ع) للتاريخ كلّه: أنّ خلافةً تقوم في أوّل خطوة لها بالاعتداء على (أملاك رسول الله) ليست امتداداً للنبي، بقدر ما هي انقلاب عليه، كما هو شأن كلّ (الانقلابات) الّتي تتمّ في الدنيا، حيث يصادر الرئيس الجديد ممتلكات الرئيس السابق الذي انقلب عليه، بحجةٍ أو بأُخرى، حتّى لا يستطيع أعوانه وأقربائه من الدفاع عن أنفسهم، والعودة إلى مراكز الحكم والسلطة.

إنّ أيّ شخص يتجرّد من العصبيّة المذهبيّة ويفهم أوّليّات السياسة؛ يدرك مغزى مصادرة **(فدك)**

وإخراج عمّال فاطمة منها وبالقوّة، أو كما يعبّر صاحب الصواعق المحرقة: (انتزاع فدك من فاطمة). كما يدرك مغزى إصرار فاطمة الزهراء (ع) على المطالبة بحقّها حتّى الموت... فلم تكن فدك هي المطلوبة بل (**الخلافة الإسلامية**) - ولم يكن إصرار الخليفة على موقفه، إلاّ لكي يقطع المدد عن المطالبين بالخلافة.

من هنا قامت فاطمة (ع) تطالب حقّها المغتصب باعتباره (نِحْلة) من رسول الله إليها، فطالبها الخليفة بالشهود.. وشهد على ذلك (**عليّ**) و (**أُمّ أيمن**) و (**الحسنان**) فُردّت شهادة أُم أيمن بحجّة أنّها امرأة - علماً بأنّ الرسول قد شهد لها بأنّها من أهل الجنّة، - ورُدّت شهادة عليّ - بحجّة أنّه يجر النار إلى قرصه!! ورُدّت شهادة سيّدا شباب أهل الجنّة: الحسن والحسين بحجّة أنّهما صغيران!! علماً - بأنّ صاحب اليد على الملك، لا يُطالب بالشهود في أيّ مذهب من مذاهب الإسلام، ولا في أيّ قانون من قوانين الأرض أو السماء، فلا يحقّ لأيٍّ كان أن ينتزع يد أحدٍ على ملك، ثمّ يطالبه بإثبات ملكيّته له.

ولما رفضت شهود فاطمة بالنِّحْله.. قالت إذن: فهي (ملكي) بالإرث، فرتَّبوا على الفور حديثاً على لسان النبي الأكرم يقول: (نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث ذهباً ولا ديناراً..) ناسين أنّه مخالف لصريح القرآن الكريم في آيات كثيرة ومتفرّقة (مذكورة في خطاب الزهراء).

ولم يكن أمام فاطمة الزهراء (ع) إلاّ لتلقي حجّتها في المسجد وعلى رؤوس الأشهاد.. فجاء خطابها قاصفاً قامعاً دامغاً لا يدع مجالاً للريب عند أحد..

ولم يجد (الخصم) المهزوم بمنطق الزهراء المؤزّر بآيات الذكر الحكيم، إلاّ أن يناور باسم الجماهير، ويعتذر عمّا فعل بأنّه استجابةً لطلب الناس! ولا أدري متى كان طلب (الاغتصاب) مبرّراً (للاغتصاب) أيّاً كان الطالب، وأيّاً كان المغتصِب، فكيف والغصب لأملاك النبي الأعظم التي انتقلت إلى فاطمة نِحْلةً أو إرثاً.. (وذلك بنصّ الكتاب العزيز الذي يعطي الأنفال - وهي كلّ أرض لم يحرّرها الجيش الإسلامي للنبي الأكرم (ص)، وفدك أرض صالح عليها أهلها رسول الله، وسُلّمت صلحاً لا حرباً -).

وفي الأخير.. وبعد أخذ ورد صرّح الخليفة أمام الجماهير بعدم شرعيّة انتزاع فدك من الزهراء.. ولم يجد بدّاً من الاعتراف، ولكنّه حاول الالتفاف على حجّتها برمي الكرة في مرمى الجماهير الحاضرة في المسجد.. فصار حقّ الزهراء المسلّم رهناً برضى قوم يعرفون تماماً وجه الحقّ، ومقصد الخليفة من هذه المناورة، ولكنّ سيف الإرهاب الذي شُهر في السقيفة ما كان يدع لأحد مجالاً للاعتراض..

ولم يكن يخفى على أحد حقّ فاطمة في فدك.. وما بعد (**فدك**) غير أنّ البطش كان أقوى.. وما فعل بالصحابي الجليل (مالك بن

نويرة) أخمد أصوات الجميع!

فدك.. عبر التاريخ

غير أنّ (**فدك**) لم تذهب إلى (خزينة الدولة) إلاّ لفترة قصيرة.. ثمّ سلّمها عمر لأبناء فاطمة، ثمّ انتزعها عثمان ليعطيها لصهره مروان بن الحكم، ثمّ عادت لعليّ في خلافته - وكانت له معها موقف حكيم! وجاء معاوية فانتزعها من أصحابها، ولم يردّها إلى خزينة الدولة، بل قسّمها بين أقرباءه ثلاثة أقسام: فثلث لمروان، وثلث لعمر بن عثمان، وثلث لولده يزيد (قاتل الحسين بن علي (ع)) وهكذا بقيت في كفّ الأمويين حتّى خلقت لمروان وحده.. ثمّ ورثها عمر بن عبد العزيز فردّها على أولاد فاطمة، ثمّ اضطرّ تحت ضغط أعوانه إلى توزيع غلّتها عليهم فقط، واستبقاء الأصل في يده، ثمّ انتزعها يزيد بن عيد الملك لنفسه، وبقيت في يد المروانيّين حتى زالت دولتهم، وعلى زمن العباسيين.. ردّها أبو العبّاس السفّاح إلى أبناء فاطمة (عبد الله بن الحسن بن الحسن) ثمّ انتزعها أبو جعفر المنصور، ثمّ ردّها ولده المهدي بن المنصور إلى أبناء فاطمة، ثمّ انتزعها ولده موسى بن المهدي..

وبقيت في يد العبّاسيين حتّى عام ٢١٠ فردّها المأمون على أبناء فاطمة، وكتب بذلك كتاباً ضمنّه أدلّة امتلاك فاطمة لفدك [1].. ثمّ انتزعها

---

١ - كتب المأمون العبّاسي الرسالة التالية إلى واليه على المدينة قثم بن جعفر: (أمّا بعد، فإنّ =

المتوكّل ووهبها لابن عمر البازيار، وكان فيها إحدى عشرة نخلة غرسها النبي (ص) بيده الكريمة، فوجّه البازيار رجلاً يقال له (بشران) فصرّم تلك النخيل، ثمّ عاد ففلج!! ولا يذكر التاريخ شيئاً عن فدك بعدما صارت في يد البازيار المعادي للنبي وآله (عليهم السلام).

وهكذا كلّما كان الحكم يميل (للإنصاف) لأهل البيت كان يعيد فدكاً إلى أبناء فاطمة، وكلّما جنح للظلم اغتصبها من جديد، ولكّن حقّ

=

أمير المؤمنين بمكانه من دين الله وخلافة رسوله (صلّى الله عليه وسلّم) والقرابة به أولى مَن استنّ سنّته، وسلّم لمن منحه منحة، وتصدّق عليه بصدقة منحته وصدقته، وبالله توفيق أمير المؤمنين وعصمته، وإليه في العمل بما يقرّه إليه رغبته، وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) أعطى فاطمة بنت رسول الله وتصدّق بها عليها، وكان ذلك أمراً ظاهراً معروفاً لا اختلاف فيه بين آل رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، ولم تزل تدعي منه ما هو أولى به من صدق عليه، فرأى أمير المؤمنين أن يردّها إلى ورثتها، ويسلّمها إليهم تقرّباً إلى الله تعالى، بإقامة حقّه وعدله، والى رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) بتنفيذ أمره وصدقته فأمر بإثبات ذلك في دواوينه والكتّاب إلى عمّاله، فلئن كان ينادي في كلّ موسم بعد أن قبض نبيّه (صلّى الله عليه وسلم) أن يذكر كلّ من كانت له صدقة أو هبة أو عدّة ذلك، فيقبل قوله وتنفّذ عدّته، إنّ فاطمة (رضي الله عنها) لأولى بأن يصدق قولها فيما جعل رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) لها، وقد كتب أمير المؤمنين إلى المبارك الطبري مولى أمير المؤمنين بأمره، بردّ فدك على ورثة فاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) بحدودها وجميع حقوقها المنسوبة إليها، وما فيها من الرقيق والغلاّت وغير ذلك، وتسليمها إلى محمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ومحمد بن عبد الله بن الحسن بن على بن الحسين بن علي بن أبي طالب، لتولية أمير المؤمنين إيّاها القيام بها لأهلها. فاعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين، وما ألهمه الله من طاعته، ووفّقه له من التقرّب إليه، وإلى رسوله (صلّى الله عليه وسلّم)، وأعلمه من قبلك وعامل محمد بن يحيى ومحمد بن عبد الله بما كنت تعامل به المبارك الطبري، وأعنهما على ما فيه عمارتها ومصلحتها، ووفور غلاّتها إن شاء الله، والسلام. (راجع ص ٢٨ كتاب فدك).

فاطمة في فدك صار أظهر من الشمس في رابعة النهار، وأصبح حديث (نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث) مثل (قميص عثمان) في التاريخ، يستمرّ من وراءه طلاّب الحكم ليُقصوا عن الخلافة أهلها الحقيقيين، وكفى بـ (**فدك**) شهادة على صدق وطهارة وحقّ منهج، وقف على رأسه أهل البيت: عليّ وفاطمة والحسن والحسين.. الحماة الحقيقيّون للرسالة.

ومن المفارقات الطريفة: أنّ الذين استلبوا الخلافة في سقيفة بني ساعدة من (أهل البيت) كانوا يشعرون بالضعف؛ لأنّه كان ينقصهم قوّة الحقّ في خلافتهم، فراحوا يرمّمون ذلك النقص بقوّة المال المغتصب، والسيف المشتهر.. أمّا عليّ أمير المؤمنين (ع) والذي كان أزهد النّاس في الدنيا، وأحرصهم على الرسالة فما كان ليشعر بشيء من الضعف في خلافته، حتّى يغطّيه بالمال، فلا نقص (الإجماع الجماهيري) وقد تدافعت نحوه كالسيل وكأنّها تعتذر عن تقصيرها القديم.. ولا نقص (النصّ الجلي).

وقد صرّح الرسول الأكرم في غدير خمّ، وغير غدير خمّ، بخلافته له من بعده، ولا نقص (**القرابة**) إلى الرسول وهو بن عمّه وزوج سيّدة نساء أهل الجنّة (**فاطمة**)، ولا (الجهاد) والأسبقيّة إلى الإسلام، وقد كان الأوّل في كلّ تلك المناقب؛ لذلك فإنّه ما أن امتلك السلطة حتّى رفض أن يستفيد من (**فدك**) شخصيّاً، وكان ينفق جميع عائداتها على الفقراء؛ ليدلّل على أنّ مطالبة أهل البيت (بفدك) لم يكن لأجل الدنيا، وأنّ الذين اغتصبوها منهم ما فعلو ذلك.. للآخرة!

وممّا يكشف عن (مرمى) خطاب الزهراء في مسجد الرسول خطابها الآخر في فراش الموت، عندما جاء لزيارتها نساء المهاجرين والأنصار حيث لم تتطرّق إلى (**فدك**) من قريب أو بعيد، بل كانت (**الخلافة**) هي المحور.. أوّلاً وأخيراً..

(ويلهم أنّى زحزحوها عن مراسي الرسالة، ومهبط الوحي الأمين، والطبين بأمر الدنيا والدّين، وما الذي نقموا من أبي الحسن؟ نقموا منه - والله - نكير سيفه، وشدّة وقعته، وتنمّره في ذات الله).

ولقد أشار الإمام الكاظم موسى بن جعفر (ع) (حفيد فاطمة) إلى (قضيّة فدك) إذ حدّد تلك الجنينة المغروسة في خصر الصحراء، عندما طلب منه الخليفة هارون العبّاسي تحديد فدك ليردّها عليه فقال:

(الحدّ الأوّل: عدن، والحدّ الثاني: سمرقند، والحدّ الثالث: إفريقية، والرابع: سيف البحر ممّا يلي الجزر وأرمينية).

والسؤال: هل استطاعت الزهراء بخطابها أن تسترجع فدك؟

الجواب: لم تسترجع الزهراء فدكاً، ولكنّها استرجعت صوت الحقّ الذي كاد يضيع في تهريج السقيفة.

(وهكذا هُزم الخصم)

لقد سجّلت الزهراء على خصومها (**غصب الأرض**) ولم يستطع الحديث المكذوب على النبي أن يثبت الشرعيّة لاغتصاب (**فدك**)، ورواية (نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث..) فِرية مفضوحة بلا ريب - فهي أوّلاً مخالفة لنصوص القرآن الكريم - في الآيات العامّة للإرث، وفي الآيات الخاصّة بخصوص إرث الأنبياء - كما تشير إليه الزهراء في خطابها.

وثانياً: لأنّ الخصم تراجع في نهاية المطاف عن التمسّك بهذا الحديث ليتشبّث بموقف (الحاضرين في المسجد)، والذين كان أغلبهم من حزبه، أو ممّن جرى تسليمهم بالقوّة أو بالتطميع.

وثالثاً: إنّ الخليفة قد ناقض نفسه. هذا الحديث عندما استأذن عائشة حصّتها من الإرث في بيت النبي، وأوصى بأن يُدفن عند رسول الله (ص) (علماً بأنّ الزوجة لا ترث من الأرض بل من البناء فقط).

كيف ترث عائشة زوجة الرسول، ولا ترث فاطمة بنت الرسول؟

وأيضاً إذا صحّ هذا الحديث، فلماذا لم يصادر الخليفة بيوت النبي من أزواجه؟ ولكنّ المشكلة أنّ الدلائل على صدق الزهراء لم تكن

تعوز الخليفة الجديد.. بل الدوافع والغايات، وإلاّ كانت تكفي شهادة النّبي (ص) عندما قال لعلي: (عليٌّ مع الحقّ، والحقّ مع عليّ، يدور معه حيثما دار).

وقول الله تعالى عن أهل البيت: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا).

كل ذلك كان كافياً للرضوخ للحقّ، والحكم لصالح فاطمة الزهراء، ولكن كلّ تلك الشهادات قد رُدّت، ومعها آيات الذكر الحكيم في الميراث.. وبقي الحديث - الفِرية صامداً بوجه كلّ الشهود والآيات... لماذا؟ لأنّ الخليفة لم يكن حكماً، بل كان طرفاً.

ولذلك فإنّ الزهراء - وبعد اليأس من الخليفة وحاشيته - نادت: (فنعم الحكم الله، والزعيم محمّد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون).

إنّ التناقض في مواقف الخليفة من إرث الرسول ربّما كان هو سبب شعوره بالنّدم العميق، ممّا صنعه تجاه **(فدك فاطمة)** خصوصاً في اللحظات الأخيرة من حياته، ولكن بعد أن كان كلّ شيءٍ قد انتهى..

لقد ماتت فاطمة في ريعانة العمر مقهورة متألّمة، وهي ساخطة على الخليفة أشدّ السخط.. وعلى صاحبه أيضاً.. حتّى أنّها رفضت أن تتكلّم معهما بعد خطاب المسجد! وكانت تدعو عليهما في كلّ صلاة، وأوصت بأن لا يشهد أحدٌ منهما جنازتها.. وشدّدت في الوصيّة، حتّى أنّها أوصت أن تُدفن في مكان مجهول.. حتّى لا تتيح لأحد منهما الصلاة على قبرها.. ولكي تسجّل اعتراضها على **(سقيفة بني ساعدة)** وجميع إفرازتها والى الأبد..

إنّ تحليل خطبة الزهراء بحاجة إلى كتاب ضخم؛ لأنّه ليس مجرّد خطاب سياسي محض.. بل هو خطاب ديني، تاريخي، قانوني، سياسي، اجتماعي، ثوري.. ذات أبعاد متعدّدة..

ولكنّ ذلك لا يمنع من أن نتقرّب إلى الخطّ العام للخطبة، ونتعرّف على غايتها الكبرى..

تبدأ الخطبة بحمد الله والثناء عليه.. وتعرّج على التذكير بنعمه، ثمّ عن توحيد الله وعظمته، وفلسفة الخِلْقة، وبعث الرُّسُل، وعلّة الثواب والعقاب، ثمّ تنتقل إلى أبيها العظيم محمّد (ص)؛ ذلك الرسول الذي شرّفه الله وفضّله على جميع المخلوقات قبل ان يخلق الخلق أجمعين، ثمّ تعطي صورة سريعة عن الوضع الجاهلي، والظروف التي بُعث فيها رسول الله، ثمّ عن مقامه العظيم عند الله.. مع إشارة ذات معنى إلى خلاصة من أتعاب الدنيا ومشاكلها وأوضارها.. ثمّ تتحدّث عن (**القرآن العظيم**) ودور المسلمين (الحاضرين في المسجد) في المحافظة على دساتيره وقوانينه وأحكامه.

وفي نكتةٍ جميلة تنتقل إلى أهم ما جاء في القرآن الكريم من أحكام

وشرائع.. مع بيان مقتضب وعميق لفلسفة الأحكام.. كالصلاة والصيام، والحج والجهاد والقصاص.... الخ، مع توصية الحاضرين بالالتزام بالتقوى، وخشية الله، والخضوع لأحكامه.

بعد ذلك تنتقل إلى صلب الموضوع - مع تذكير ذات معنى بشخصيّتها، وتأكيد على وعيها لما تقول، وفهمها العميق لدورها، وخطابها، وكلامها، وتأثير هذا الخطاب على مرّ التأريخ - منادية:

(اعلموا أنّي فاطمة.. وأبي محمّد، أقول عوداً وبدءاً، لا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططاً..).

وتنحدر في التعريف بدور أبيها الرسول الأعظم في إنقاذهم من الضلالة والعمى، والجهود الجبّارة التي بذلها في هذا السبيل.. حتّى خضع الجميع للسلام، بعد ضياع طويل في ظلمات الجاهلية الجهلاء.. مع وصف دقيق لحالهم اقتصاديّاً ومعيشيّاً وأمنيّاً حتّى جاء الرسول.. وأنقذهم من الضلال العريض بعد حروب مدمّرة، ومؤامرات طاحنة.. كان البطل الأوّل في إخمادها، وإبطال فتيلها، والسيطرة عليها هو الإمام الهمام (**علي بن أبي طالب** (ع)) مع وصف دقيق لشخصيّة زوجها العظيم:

(مكدود في ذات الله، مجتهد في أمر الله، قريب من رسول الله، سيّد في أولياء الله).

الانقلاب على خطّ الرسول الأعظم!

وبعد التذكير بدور عليّ وأهل البيت في إقامة الإسلام.. تبيّن دور (الحزب المعارض) حزب السقيفة مراقبة الأحداث، وضع المؤامرات، والفرار حين القتال مع التربّص بأهل البيت لإقصاهم عن السلطة.

لقد فضحت الزهراء (حزب السقيفة) بصراحة مع تحيّل مسؤوليّة الانحراف عن خطّ النبيّ على عاتق المسلمين الساكتين، وتحذّرهم من دور (الشيطان) الذي دعم النوازع الشرّيرة، الّتي دبّرت ذلك الانحراف في غفلة من العقل والفكر والضمير..

وتتساءل فاطمة الزهراء متعجّبةً من ما حصل من تغيير سريع بعد وفاة النبيّ الأكرم، كيف حصل كلّ ذلك والرسول لا يزال مسجّىً لم يُقبر، والجرح عميق لم يندمل، ثمّ تفنّد (الأعذار) التي تشبّث بها أنصار السقيفة.. خوف الفتنة!

(ابتداراً، زعمتم خوف الفتنة، ﴿أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾).

لقد مزّقت الزهراء الأعذار الواهية، والأقنعة الكاذبة، فاضحة كوامن النفوس المريضة، وأنّ (السقيفة) لم تكن مجرّد فكرة طارئة، فرصة غياب

القائد الأعظم، كما استغلّ السامريّ فرصة غياب موسى عن قومه.

وبعد أن أدانت الزهراء انقلاب السقيفة.. انعطفت نحو قضيّة (**فدك**)، كمستمسكٍ على خطأ الأسباب التي أدّت إلى خطيئة النتائج:

(أفحكم الجاهليّة يبغون؟ ومَن أحسن من الله حكماً لقوم يؤمنون! أفلا تعلمون؟ بلى تجلّى لكم كالشمس الضاحية!).

فدك.. اغتُصبت من الزهراء عنوةً وجهاراً.. وهي إن لم تكن نِحْلة من النّبيّ لها، فهو إرث لا ريب فيه! فإذا كان في وسع الخليفة أن يرفض شهود النِّحْلة، فهل بوسعه أن يرفض آيات الإرث؟!

(أيّها المسلمون أأُغلب على إرثيه؟).

ثمّ تخاطب الخليفة: (يا بن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟)، ثمّ تذكّرهم بآيات الذكر الحكيم الصريحة في إرث الآباء للأبناء بشكلٍ عام، وإرث الأنبياء أولادهم بشكل خاص.. وعندما لا تجد من الخليفة استجابةً لكلامها؛ تهدّده بعذاب الله ومحكمة القيامة (فدونكها مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزّعيم محمّد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم إذ تندمون).

الدعوة إلى النهضة

ولكن الخطبة لا تنتهي عند هذا الحد، إنّ للزّهراء رسالة الثورة على خطّ الانحراف، رسالة تحميل المسؤوليّة، للخاصرين والتذكير بدورهم

في تصحيح المسيرة: (ليحي من حيّ عن بيّنة، ويهلك مَن هلك عن بيّنة).

(يا معشر السقيفة، وأعضاد الملّة، وحضنة الإسلام، ما هذه الغَميزة في حقّي والسِّنَة عن ظُلامتي، أما كان رسول الله أبي يقول: المرء يُحفظ في ولْده؟ سرعان ما أخلفتم وعجلان ذا إهالة (مثل على سرعة التحوّل) ولكم طاقة بما أُحاول، وقوّة على ما أطلب...).

وتزداد وتيرة الكلمات حدّةً في التصريح بضرورة النّهضة، والوقوف إلى جانب الحقّ.. تثير الضمائر وتتنهّض الهمم، وتذكّرهم بالقرآن مرّةً، وبالنّبيّ وتراثه العظيم، وما يهدّد خطّه من انحراف نحو الجاهليّة مرّةً أُخرى:

(إيهاً بني قيلة أأُهضم تراث أبي؟ وأنتم بمرأى منّي ومسمع، ومنتدى ومجمع، تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذوو العدد والعدّة، والإدارة والقوّة، وعندكم السلاح، والجنّة توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تعينون؟ وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح..).

وتستمرّ الزهراء في خطبتها القاصعة منددةً ومحذِّرة، متحدّيةً جبروت الحكم الذي تحميه سيوف أبناء السقيفة.. إلى أن تبلغ ذروة التحريض حيث تكشف عن أنّ وراء (الانقلاب في السقيفة) حزب المنافقين، الذين همّوا بإخراج الرسول وأنّ الهدف ليس شخص عليّ، بل هو خطّ الرسول الذي يمثّله علي بن أبي طالب؛ فتقول:

(أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).

وعندما وجدت الزهراء أن لا أمل في النهضة من نفوسٍ طوّعتها الأطماع، واستراحت إلى دِعَة العيش، والوعود الخلاّبة بالغنائم القادمة؛ راحت تكشف ذلك لهم بصراحة:

(ألا قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم مَن هو أحقّ بالبسط والقبض، وخلدتم إلى الدّعة، ونجوتم من الضيق بالسّعة، فمججتم ما وعيتم، ودسعتم ما تسوّغتم).

لقد ألان النفوسَ المتحمّسة بريقُ المال، وخفض العيش، وحبّ الراحة.. وفاطمة الزهراء تعلم ذلك كلّه، ولكنّها (بثّة الصدر وتقدّمة الحجّة) فهل ستنتهي الأُمور بمثل هذه السهولة، أينعم الأنصار بالدّعة والراحة إذا أغلقوا عيونهم، وأصمّوا آذانهم عن ظلامة الزهراء ودعوتها الحقّة؟ أم إنّ الفتن من ورائهم ستأتي سوداء مظلمة تدع فيئهم زهيداً، وجمعهم حصيداً:

(فدونكموها، فاحتقبوها (احلبوا ناقة الخلافة) دبرة الظهر، نقبة الخفّ، باقية العار، موسومة بغضب الله، وشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة التي تطّلع على الأفئدة، فبعين الله ما تفعلون، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون، وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد! فاعملوا إنّا عاملون، وانتظروا إنّا منتظرون).

وفي جلسة أُخرى لنساء المهاجرين والأنصار، كانت أكثر توضيحاً لما ينتظر أبناء الصمت والسكون من ويلات.. على مرمى أبصارهم تقف الفتنة العمياء الطاحنة.. حين قالت لهم: (أما لعمري لقد لقحت، فنظرة ريثما تنتج، ثمّ احتلبوا ملأ القعب دماً عبيطاً، وذعافاً مبيداً، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غبّ ما أسّسه الأوّلون، ثمّ طيّبوا عن دنياكم أنفساً، واطمأنّوا للفتنة جأشاً، وأبشروا بسيف صارم وسطوة معتدٍ غاشم، وهرج شامل، واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيداً، وجمعكم حصيداً، فيا حسرة لكم، وأنّى بكم؟ وقد عميت عليكم، انلزمكموها وأنتم لها كارهون؟!).

وصدّق التاريخ مقالة الزهراء: فكم من دمٍ ساخنٍ جرى على أرض المدينة، وعلى طول تاريخ الإسلام، وأمّا الأنصار فلم يروا العِزّ إلاّ على عهد الرسول.. ثمّ نام حظّهم، وأُبعدوا عن جميع مراكز الحكم والى الأبد.. وذلك جزاء الخانعين.

الحديث الفِرية، ومحاولات التغطية

جواب الخليفة لخطاب الزهراء جاء باهتاً وضعيفاً.. ومتهاوياً و... فبعد أن حاول التخفيف من حدّتها وصرامتها، وقوّة الحجّة لديها عبر الإشارة بمقام الزهراء، ومقام أبيها العظيم محمّد (ص)، وزوجها الكبير عليّ (ع) حاول أن يفلسف (عدوان الحكم) على (**فدك**) بأنّ (الشرع) الذي جاء به الرسول هو الذي دعا إلى ذلك؛ وذلك أنّه سمع من

النبيّ (ص) حديثاً يقول: (نحن معاشر الأنبياء لا نورّث ذهباً ولا ديناراً ولا أرضا ولا عقاراً...).

عجباً.. كيف يمكن أن يخالف الرسول نصّ القرآن؟

وما هي الحكمة في أن يكون أبناء المهاجرين والأنصار في غنىً وعِزّ، وأبناء الرسول الأعظم وحدهم يعيشون في الفقر والذلّ؟ لماذا لا يصادر أموال الأغنياء من المسلمين، ويصادر فقط أموال النبيّ (ص)؟

ثمّ كيف سمع الخليفة هذا الحديث الخطير من الرسول، ولكنّ الزهراء فاطمة بنته لم تعلم بذلك، وعليّ بن أبي طالب - أعلم الصحابة جميعاً - لم يسمع بهذا الحديث؟!

ولكنّ الزهراء فاطمة انبرت بسرعة لتكذّب الحديث بقوّة: (سبحان الله! ما كان رسول الله عن كتاب الله صادفاً (معرضاً) ولا لأحكامه مخالفاً، بل كان يتبع أثره، ويقفو سوره، أفتجمعون إلى الغدر، اعتلالاً عليه بالزور، وهذا بعد وفاته شبيه بما بغي له من الغوائل في حياته! هذا كتاب الله حكماً عدلاً، وناطقاً فصلاً يقول: (يرثني ويرث من آل يعقوب)، (وورث سليمان داود) فبيّن (عزّ وجلّ) فيما وزّع عليه من الأقساط، وشرّع من الفرائض والميراث، وأباح من حظّ الذكران والإناث، ما أزاح علّة المبطلين، وأزال التظنّي والشبهات في الغابرين، كلاّ: (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)).

وأخيراً اضطرّ الخليفة أن يعترف بصدق فاطمة قائلاً: (صدق الله، وصدق رسوله، وصدقت ابنته).

ولكنّه حاول الالتفاف على اعترافه

بقوله: (هؤلاء المسلمون بيني وبينك قلّدوني ما تقلّدت، وباتّفاقٍ منهم أخذت ما أخذت).

وبهذه المناورة حاول الخليفة - أن يجعل الزهراء في مواجهة الجماهير الموعودة بخيرات فدك، أو على الأصح في مواجهة الحزب الذي كان يمنّي نفسه بخيرات النظام الجديد.. ولكنّ الزهراء كانت قد ألقت تحت كرسي الخليفة قنبلةً شديدة الانفجار، قنبلة الحقّ الذي لا يزيده مرور الأيام الاّ قوّةً وهديراً.

فإذا كانت السقيفة قد غيّرت مجرى سفينة الإسلام، فإنّ خطبة الزهراء قد بعثت بوجهها عاصفة قويّة، ستمنعها من الوصول إلى غايتها البعيدة.

إذا كانت السقيفة ستلد يزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم، فإنّ خطبة الزهراء ولدت ثورات لا تنتهي بوجه الانحراف، ولِصرخة الحق دويّ أقوى من صوت الرعد القاصف، وإن انطلق من حنجرة مظلوم ضعيف، فكيف إذا كان ينطلق من فم سيّدة نساء العالمين، وبنت أعظم نبيّ وأكرم مخلوق على وجه الأرض؟

ليس قليلاً أن يُهضم (**أهل البيت**) بهذه الصورة.. فمع امتداد الزمن سينكشف للناس مدى طهرهم ونزاهتهم، وحرصهم على الإسلام.. ومقامهم العلمي والديني من مركز الرسالة محمّد (ص).

ومع بروز دورهم، وانبلاج عظمتهم، ينكشف الستر عن حرص أعدائهم على الدنيا وحطامها وصغر نفوسهم، وقلّة مداركهم، وضحالة مفاهيمهم ووعيهم بحركة التاريخ وسنن الله في الأرض..!

وكلّما انفرج الزمان.. انفرج الخطّان أحدهما باتجاه الصدق والصراحة وتمثيل الرسالة والمبادئ والمُثُل، والآخر باتجاه الحكم والسلطة والدسائس والمؤامرات، والغرق في الملذّات والشهوات الدنيويّة!

إنّ الزهراء فاطمة كانت تعرف منذ البدء أنّها لن تسترجع (**فدك**)؛ لأنّ الذي يغتصب الخلافة ليس كثيراً عليه أن يختلس قطعة أرض، وأنّ الذين خُلقوا من أجل الرسالة، وضحّوا بكلّ ما لديهم في سبيلها، ليس كثيراً عليهم أن يصبروا على حرمانهم من قطعة أرض.

ولكنّ فدك.. كانت الخلافة، والخلافة كانت الرسالة، والرسالة كانت هاجس عليّ وفاطمة.. عاشوا من أجلها، واستشهدوا من أجل بقاءها.

وكانت المطالبة بفدك - مطالبة بالخلافة، والمطالبة بالخلافة مطالبة بالالتزام بالحقّ والعدل، ونهج الرسول وسنّته الطاهرة.

قصّة (القصيدة الشِّعْريّة)

أيّها القارئ العزيز بين يديك مقطوعة تصوغ خطبة الفخر والصدق والعدالة، في كلمات شِعْريّة؛ ليكون للشعر شرف الخلود بخلود الخطبة العظيمة لبنت الرسول، وقد قصدت بنظمها وجه الله ورضا أُمّي فاطمة.

نظمت أبيات الشعر هذه وأنا في ديار الغربة، أعيش آلاماً أمضّت قلبي وقلب شعبي الذي ابتلى بالطواغيت الفجرة، والدجّالين المهرة، وأبناء الدنيا المغرّرين؛ فلم أجد لي سلوة إلاّ أن أغسل قلبي بطهور الحزن المقدّس، وأن ألجأ إلى (**بيت الأحزان**) بيت (**فاطمة الزهراء بنت محمد**) لقد ذرفت الدموع فيها سخيّة ساخنة.. وغسلت قلبي بأحزان فاطمة ودموعها.. لأنّ دموع المظلومين متّصلة بدموعها، وأحزانهم موصولة بأحزانها.. الّتي لا تنتهي إلاّ مع ظهور ولدها المنتظر الحجّة بن الحسن المهدي (عج) الذي يضع حدّاً لآلام المظلومين والمستضعفين، آنذاك لم يكن عندي إلاّ كتاب: (**فاطمة الزهراء من المهد إلى اللّحد**) فالتهمته كلّه، ثمّ توقّفت عند الخطبة المعجزة.

وهنا لابدّ أن أُسجّل أنّ شرف السبق إلى نظم (**خُطْبة فاطمة**) ليس لي.. فلقد تقدّمني شعراء كبار، وآخرهم شاعرنا المرحوم الشيخ الفرطوسي، وغيرهم من العرب والعجم.. ولكن أحببت أن أشاركهم الأجر والثواب، لعلّ الزهراء تشفع لي عند الله بالجنّة.

وقبل أن أختم المقدّمة، أودّ أن أُسجّل بعضاً من أبيات شريف مكّة، التي أيقضت ضميري على ألم الزهراء وأنا طفل صغير.. ثمّ أوحت إليّ بوزن القصيدة، وكذلك قصيدة الأزري التي كان لها نفس الأثر في قلبي.

شريف مكّة: وقصيدته الهائيّة

ما لعيني قد غابَ عنها كراها ... وعراها من عبرةٍ ما عراها
الدار نعمت فيها زماناً ... ثمّ فارقتها فلا أغشاها
أمْ لحيٍّ بانوا بأقمار تمٍّ ... يتجلّى الدجى بضوء سناها
أمْ لخوْدٍ غريرة الطرف تهواه ... بصدقِ الوُدادِ أو أهواها

أم لصـــافي المِـدام مـــن مـــزّة الطعـــمِ عقـــــار مشـــــمولة أُســـــقاها

حـــاش لله لســـتُ أُطمـــع نفســـي آخـــرَ العمـــرِ في اتّبـــاع هواهـــا

بـــل بُكـــائي لـــذكر مَـــن خصّـــها اللّـــه تعـــــالى بلُطفِـــــه واجتباهـــــا

خـــــتمَ اللهُ رسْـــــلَه بأبيهـــــا واصـــــطفاه لوحيـــــه واصـــــطفاها

وحباهـــــا بالســـــيّدين الـــــزكيّين الإمـــــامين منـــــه حـــــين حباهـــــا

ولفكـري في الصـاحبين اللّـذَين استحسـنا ظلمَهـــــا ومـــــا راعياهـــــا

منعـــا بعلهـــا مـــن العهـــد والعقـــد وكـــــان المنيـــــب والأوّاهـــــا

واســـــــتبدّا بـــــــإمْرةٍ دبّراهـــــــا قبـــــل دفـــــنِ النـــــبيِّ وانتهزاهـــــا
وأتـــــت فـــــاطمٌ تطالـــــب بـــــالإرث مـــــن المصـــــطفى فمـــــا ورّثاهـــــا
ليـــت شـعري لِم خولفـت سُـننُ القـرآنِ فيهـــــــا واللهُ قـــــــد أبـــــــداها
رضـــــي النـــــاس إذ تلوهـــــا بمـــــا لم يـــــرضَ فيهـــــا النـــــبيُّ حـــــين تلاهـــــا
نُســـــخت آيـــــةُ المواريـــــثِ منـــــه أمْ همـــــا بعـــــد فرضـــــها بـــــدّلاها
أمْ تـــــرى آيـــــةُ المـــــودّةِ لم تـــــأتِ بـــــــودّ الزهـــــــراء في قُرباهـــــــا
ثمّ قـــــالا أبـــــوكِ جـــــاء بهـــــذا حجّـــــة مـــــن عنـــــادهم نصـــــباها
قـــــال للأنبيـــــاء حكـــــم بـــــأن لا يورِّثـــــوا في القـــــديم وانتهزاهـــــا
أفبنـــــت النـــــبي لم تـــــدر إن كـــــان نـــــبيُّ الهـــــدى بـــــذلك فاهـــــا
بضـــــعة مـــــن محمّـــــدٍ خالفـــــت مـــــا قـــــال حاشـــــا مولاتنـــــا حاشـــــاها

سمعتـــــه يقـــــول ذاك وجـــــاءت تطلـــــب الإرثَ ضـــــلّةً وســـــفاها
هـــي كانـــت لله أتقـــى وكانـــت أفضـــل الخَلْـــقِ عفّـــةً ونزاهـــا
أو تقـــول النـــبيُّ قـــد خـــالف القـــرآن ويـــح الأخبـــار ممّـــن رواهـــا
ســـلْ بإبطـــال قـــولهم ســـورةَ النمـــلِ وســـلْ مـــريمَ الّـــتي قبـــل طاهـــا
فهمـــا ينبئـــان عـــن إرث يحـــيى وســـليمان مَـــن أراد انتباهـــا
فـــدعت واشـــتكت إلى اللهِ مـــن ذاك وفاضـــت بـــدمعها مقلتاهـــا
ثمّ قالـــت فنِحْلـــةٌ ليَ مـــن والـــدي المصـــطفى فلـــم ينحلاهـــا
فأقامـــت بهـــا شـــهوداً فقـــالوا بعلهـــا شـــاهدٌ لهـــا وابناهـــا
لم يجيـــزوا شـــهادة ابـــنَي رســـولِ اللّـــه هـــادي الأنـــام إذ ناصـــباها
لم يكـــن صـــادقاً علـــيٌّ ولا فاطمـــةٌ عنـــدهم ولا ولـــداها

كـــان أتقـــى لله مـــنهم عتيـــقٌ قـــبّح القائـــلُ المحـــال وشـــاها
جرّعاهـــا مـــن بعـــد والـــدها الغـــيظَ مـــــراراً فبـــئس مـــا جرّعاهـــا
أهـــل بيـــتٍ لم يعرفـــوا ســـنن الجـــور التباســـــاً علـــــيهمُ واشـــــتباها
ليـتَ شِـعْري مـا كـان ضـرّهما الحفـظ لعهـــد النـــبي لـــو حفظاهـــا
كـــان إكـــرامُ خـــاتمِ الرُّســـلِ الهـــادي البشـــير النـــذير لـــو أكرماهـــا
إنّ فعـــــل الجميـــــل لم يأتيـــــاه وحســـان الأخـــلاق مـــا اعتمـــداها
ولـــو ابتيـــع ذاك بـــالثمن الغـــالي لَمَـــا ضـــاع في اتّبـــاع هواهـــا
ولكـــان الجميـــل أن يُقْطِعاهـــا فـــدكاً لا الجميـــل أن يَقْطَعاهـــا
أتـــرى المســـلمين كـــانوا يلومونهمـــا في العطـــــاء لـــــو أعطياهـــــا
كـــان تحـــت الخضـــراء بنـــت نـــبيٍّ صـــادقٍ نـــاطقٍ أمـــينٍ ســـواها؟!

تـــاه في رفـــرف النّـــدى خضـــراها فتثـــــنّى بخصـــــرها عِطفاهـــــا
وترامـــــت غنّـــــاء رائعـــة الحســـنِ وطيـــــفٌ مـــــن الحيـــا يغشـــاها
فكـــأنّ الحســـناء أتعبهـــا المشـــيُ بصـــــحراء تكتـــــوي حصـــــباها
في فـــلاةٍ طغـــى بهـــا الشـــمس حـــتّى لا تـــــرى قطـــــرةً تبـــلُّ الشِّـــفاها
تترائـــــى تحـــــت النخيـــــل مـــــروجٌ يتبـــــارى مـــــع النّســـــيم هواهـــــا
عـــينُ مـــاءٍ مـــبرّدٍ ســـقت الأرض وصـــــابت بـــــالبرد ريـــحُ صـــــباها
قـــــد تـــــدلّت ثمارُهـــــا وتناجـــــت ســـــعفاتُ النّخيـــــلِ في أجواهـــــا
فـــــدكٌ فتنـــــةُ الزّمـــــان وســـــحرُ الأرضِ والجنّـــــة الّـــــتي تهواهـــــا

بنـــت مَـــن! أُمّ مَـــن! حليلـــة مَـــن! ويـــلٌ لِمَـــن ســـنّ ظلمَهـــا وأذاهـــا

ذاك ينبيـــك عـــن حقـــودٍ صـــدورٍ فاعتبرهـــا بـــالفكر حـــين تراهـــا

قـــل لنـــا أيّهـــا المجـــادل في القـــول عـــــن الغاصـــــبين إذ غصـــــباها

أهمـــا مـــا تعمّـــداها كمـــا قلـــت بظلـــــمٍ كـــــلاّ ولا اهتضـــــماها

فلمـــــاذا إذ جُهّـــــزت للقـــــاء الله عنـــــد الممـــــات لم يحضـــــراها

شـــيّعت نعشَـــها ملائكـــةُ الرحمـــانِ رفقـــــاً بهـــــا ومـــــا شـــــيّعاها

كـــان زهـــداً في أجرهـــا أم عنـــاداً لأبيهـــــــا النـــــبيِّ لم يتبعاهـــــا

أمْ لأنّ البتـــولَ أوصـــت بـــأن لا يشـــهدا دفنَهـــا فمـــا شـــهداها

أمْ أبوهـــــا أســـــرّ ذاك إليهـــــا فأطاعـــــت بنـــــتُ النـــــبيِّ أباهـــــا

كيـــف ماشـــئت قـــلْ كفـــاكَ فهـــذي فِرْيـــةٌ قـــد بلغـــتَ أقصـــى مـــداها

أغضـــباها وأغضـــبا عنـــد ذاك الله ربّ الســـــماء إذ أغضـــــباها
وكـــذا أخـــبر النـــبيُّ بـــأنّ الله يرضـــى ســـبحانَه لرضـــاها
لا نـــبيّ الهـــدى أُطيـــع ولا فاطمـــة أُكرمـــت ولا حســـناها
وحقـــوق الوصـــي ضُـــيّع منهـــا مـــا تســـامى في فضـــله وتناهـــا
تلـــك كانـــت حـــزازة لـــيس تـــبرا حـــين ردّا عنهـــا وقـــد خطباهـــا
وغـــداً يلتقـــون واللهُ يجـــزي كـــلَّ نفـــسٍ بغيِّهـــا وهُـــداها
فعلـى ذلـك الأسـاس بنـت صـاحبة الهـــودج المشـــوم بناهـــا
وبـــذاك اقتـــدت أميّـــةُ لمـــا أظهـــرت حقـــدها علـــى مولاهـــا
لَعَنَتْـــهُ بالشـــام ســـبعينَ عامـــاً لَعَـــنَ اللهُ كهلَهـــا وفتاهـــا
ذكـــروا مصـــرع المشـــايخ في بـــدرٍ وقـــد ضـــمّخ الوصـــيُّ لِحاهـــا

وبأُحْـدٍ مـن بعـد بـدرٍ وقـد أتعـس فيهـا معاطسـاً وجباهـا
فاسـتجادت لـه السـيوف بصـفّينَ وجـرّت يـومَ الطفـوف قناهـا
لـو تمكّنـت بـالطفوف مـدى الـدهر لقبّلـت تربهـا وثراهـا
أدركـت ثارهـا أُميّـةُ بالنّـار غـداً في معادهـا تصـلاها
أشـكرُ الله أنّـني أتـولّى عـترةَ المصـطفى وأشـنى عـداها
ناطقـاً بالصـواب لا أرهـب الأعـداءَ في حـبّهم ولا أخشـاها
نـحْ بهـا أيّهـا الجزوعـي واعلـم أنّ إنشـادك الّـذي أنشـاها
لـك معـنىً في النّـوْحِ لـيس يضـاهى وهـي تـاجٌ للشِّـعْر في معناهـا
قلتُهـا للثـوابِ واللهُ يعطـي الأجـر فيهـا مَـن قالهـا ورواهـا
مظهـراً فضـلَهم بعزمـة نفـسٍ بلغـت في ودادهـم منتهاهـا

فاســـتمعها مـــن شـــاعرٍ علـــويٍّ حســـنيٍّ في فضـــلها لا يُضـــاهى
ســـادة الخلْـــق قومـــه غـــير شـــكٍّ ثمّ بطحـــــاء مكّـــــةٍ مأواهـــــا

الأزري (ره): وشيء من قصيدته الهائيّه:

تركـــوا عهـــد أحمـــدٍ في أخيـــه وأذا قـــوا البتـــول مـــا أشـــجاها
وهـــي العـــروةُ الّـــتي لـــيس ينجـــو غـــير مستعصـــمٍ بحبـــل ولاهـــا
لم يـــــرَ الله للرســـــالة أجـــــراً غـــير حفـــظ الزهـــراء في قُرباهـــا
يـــوم جـــاءت يـــا للمصـــاب إلـــيهم ومـــن الوجـــد مـــا أطـــل بكاهـــا
فـــدعتْ واشـــتكتْ إلى الله شـــكوى والرواســـي تهتـــزّ مـــن شـــكواها
فاطمأنّـــت لهـــا القلـــوب وكـــادت أن تـــزول الأحقـــاد ممّـــن حواهـــا

تَعِـــظُ القـــومَ في أتمِّ خطـــابٍ حكـــت المصـــطفى بـــه وحكاهـــا
أيّهـــا القـــوم راقبـــوا الله فينـــا نحـــن مـــن روضـــة الجليـــل جَناهـــا
نحـــن مَـــن بـــارى الســـماوات ســـرّاً لـــو كرهنـــا وجودهـــا مـــا براهـــا
بـــل بآثارنـــا ولطـــف رضـــانا ســـطّح الأرض والســـماء بناهـــا
وبأضـــوائنا الّـــتي لـــيس تخبـــو حـوت الشـهب مـا حـوت مـن سـناها
واعلمـــوا أنّنـــا مشـــاعرُ ديـــن الله فـــيكم فـــأكرموا مثواهـــا
ولنـــا مـــن خـــزائنِ الغيـــبِ فـــيضٌ تـــرِد المهتـــدون منـــه هُـــداها
إن ترومـــوا الجنـــان فهـــي مـــن الله إلينـــا هديّـــة أهـــداها
هـــي دارٌ لنـــا ونحـــن ذووهـــا لا يـــرى غـــير حزبنـــا مرآهـــا
وكـــذاك الجحـــيم ســـجن عـــدانا حســـبهم يـــومَ حشـــرهم سُـــكناها

أيّهـــا النـــاسُ أيُّ بنـــت نـــبيٍّ عـــن مواريثهـــا أبوهازواهـــا
كيـــف يـــزوي عـــنّي تراثـــيَ زاوٍ بأحاديـــث مـــن لدنـــه ادّعاهـــا
هـــذه الكُتْـــبُ فاســـألوها تروْهـــا بالمواريـــث ناطقـــاً فحواهـــا
وبمعـــنى (يوصـــيكمُ اللهُ) أمـــرٌ شـــاملٌ للعبـــاد في قُرباهـــا
كيـــف لم يوصـــنا بـــذلك مولانـــا وتـــيمٌ مـــن دوننـــا أوصـــاها
هـــل رآنـــا لا نســـتحقّ اهتـــداءً واســـتحقّت هـــي الهـــدى فهـــداها
أمْ تـــراه أضـــلّنا في الـــبراي بعـــد علـــمٍ لكـــي نصـــيب خطاهـــا
مـــالكم قـــد منعتمونـــا حقوقـــاً أوجـــب اللهُ في الكتـــاب أداهـــا
قـــد ســـلبتم مـــن الخلافـــة خَـــوْداً كـــان منّـــا قناعـــه اورداهـــا
وســـبيتم مـــن الهـــدى ذاتَ خـــدرٍ عـــزَّ يومـــاً علـــى النـــبيِّ ســـباها

هـــذه الـــبُردة الّـــتي غضـــبَ اللّـــه علـــى كـــلّ مَـــن ســـوانا ارتـــداها
فخـــــذوها مقرونـــــةً بشـــــنارٍ غـــير محمـــودةٍ لكـــم عُقباهـــا
ولأيِّ الأُمـــــور تُـــــدفنُ ســـــرّاً بضـــعةُ المصـــطفى ويُعفـــى ثراهـــا
فمضـــت وهـــي أعظـــم النـــاسِ وجـــداً في فـــمِ الـــدهرِ غصّـــةٌ مـــن جَواهـــا
وثـــوت لا يـــرى لهـــا النـــاس مثـــوىً أيُّ قـــــدسٍ يضـــــمّه مثواهـــــا؟

* * *

وفي الأخير.. لا يسعني إلاّ أن أترك القارئ الكريم مع (**القصيدة الشِّعْريّة**)، وقد قدّمتُ لها بعض أبيات تعطي صورة عن (**فدك**)، ثمّ نقلت صورة عن (الظروف) التي ألقت فيها الزهراء خطبتها في مسجد الرسول الأعظم (ص)، ثم يأتي نص (**الخُطبة**) مع صياغتها الشِّعْريّة، وفي النهاية قصيدة عن (**ميلاد الزَّهراء** (ع))، ثمّ عن (**شهادة الزَّهراء** (ع))، وأرجو من الله القبول وهو المستعان.

قم - عبّاس المدرّسي

الفصل الثاني

وجاءت فاطمة..

فدك..

سلمت جنبها من الغزو والزّحف ... فلم توجف الخيولُ ثراها
وكذاك الأنفال ليس لغير ... اللهِ والمصطفّى الأمينِ جناها
وله حكمها فيعطي قليلاً ... أو كثيراً لمن يشا ما يشاها
ولَكَم أقطع النّبيُّ وأعطى ... النّاسَ من (نفلها) الّتي أعطاها
واصطفى من جميع تلك المغاني ... (فَدَكاً) كان عنده مجناها
(آت حقّ القربي) أتته بآيٍ ... لم تكن غيرُ فاطمٍ مرماها
فحباها لبنته وهو أدرى ... أنّ مرضى الإله في مرضاها
وتوقّى عن فاطمٍ ليس إلاّ ... لم يكن عند أحمدٍ إلاّها
وغدتْ في يد البتولِ تدرُّ ... الخيرَ من كفّها إلى فُقَراها
وتوالت بعد النَّبيِّ قضايا ... فتنٍ عمّت الجميع عماها

تلـك مرويّـة عـن ابـن الزّكـيِّ السّـبطِ صـــحّ الإســـنادُ عمّـــن رواهـــا
ذاك لمـــا اســـتوى الخليفـــةُ في الحكـــمِ وصـــدّ الزّهـــراءَ عـــن مرعاهـــا

روى عبد الله بن الحسن (ع) بإسناده عن آبائه: أنّه لما أجمع أبو بكر على منع فاطمة فَدَكاً وبلغها ذلك؛ لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيولها، ما تخرم مشيها مشية رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، حتى دخلت على أبي بكر، وهو في حشدٍ من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة فجلست، ثمّ أنّت أنّةً أجهش القوم بالبكاء فارتجّ المجلس، ثمّ إذا أمهلت هنيئة، حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم؛ افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه، والصلاة على رسوله فعاد القوم في بكائهم، فلمّا أمسكوا عادت في كلامها فقالت (عليها السلام):

لَبِسَـــتْ ثوبَهَـــا ولاثـــت خمـــاراً ... وبجلبابهـــا اســـتوتْ أنحاهـــا
تطـــأُ الأرضَ في ذيـــولِ ثيـــابٍ ... ســـترتْ جســـمها وغطّـــتْ علاهـــا
فـــاطمٌ مثـــل أحمـــدٍ ممشـــاها ... أو كـــأنّ الرّســـول يخطـــو خطاهـــا
خطـــوات لـــو أنّـــه كـــان حيّـــاً ... وجـــرى مـــا جـــرى لكـــانَ خطاهـــا
فتمشّـــت في لمـــةٍ مـــن حفيـــدٍ ... مـــن بنيهـــا ولمـــةٍ مـــن نســـاها
رحبـــةُ المســـجدِ المقـــدّس غصّـــتْ ... بوفـــودٍ تزاحمـــتْ بفِناهـــا
وجمـــوع المهـــاجرين توالـــتْ ... وأتتهـــا الأنصـــارُ مـــن أنحاهـــا
وأبـــو بكـــر والخلافـــة والحكـــم ... وأســـياف طوّقـــت أفناهـــا
فأُنيطـــت مـــلاءةٌ وتـــوارت ... بضـــعةُ المصـــطفّى الأمـــين وراهـــا
ســـكتت لحظـــةً وأنّـــت أنينـــاً ... أجهـــشَ القـــومُ مـــن ألـــيم أســـاها

جـــدّدت في نشـــيجها ذكريـــاتٍ كـــان لازال مـــاثلاً ذكراهـــا
تلكـــمُ الـــذّكريات عـــزّت فهـــزّت مـــن نفـــوسِ الحضـــورِ مُـــرَّ شـــجاها
ثمّ إذ أمهلـــتْ قلـــيلاً وقـــرّتْ واســـتراحَ الأســـى بصـــدرٍ عزاهـــا
هـــدأوا فـــانبرت لتلقـــي علـــيهم خُطْبـــةً لـــيس غيرهـــا يؤتاهـــا
حمـــدتْ ربّهـــا وأثنـــتْ عليـــهِ ثمّ صـــلّت علـــى المكَـــرَّمِ طـــه
وعلـــى اســـمِ النّـــبيّ عـــادت بـــروقُ الوجـــدِ تســـتمطرُ العيـــونَ نـــداها
ثمّ إذ أمســـكوا جـــرتْ في خطـــابٍ وكـــأنّ النّـــبيَّ يملـــي يـــداها
طـــاف في مجمـــعِ الزّمـــانِ وردّتْ ثـــائراتُ القـــرونِ رجـــعَ صـــداها
وعلـــى ذلـــكَ الهـــديرِ اســـتقامت خطّـــةُ الـــدّين باتّجـــاه هُـــداها
وســـتبقى الزّهـــراءُ في كـــلِّ عصـــرٍ يقتفـــي الثّـــائرونَ نهـــجَ رؤاهـــا

الفصل الثالث

الخُطْبة - المعجزة

الثناء على الله

الحمدُ لله على ما أنعم، وله الشّكر على ما ألهم، والثناء بما قدّم: من عموم نعمٍ ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منٍ والاها، جمّ عن الإحصاء عددها.

للإلـــه العظـــيم حمـــدي تنـــاهى ولـــه الشّـــكرُ دونَ أن يتنـــاهى

فلنعمائـــه الـــتي لا تُجـــازى ولإلهامـــه النفـــوس هـــداها

وثنـــائي بطيّبـــاتِ نعـــيمٍ لم نطالبْـــهُ بـــذلَها فابتـــداها

وبـــآلاء جـــوده ســـابغاتٍ ســـائغاتٍ إلى الـــورى أســـداها

وبمـــا جـــاد مـــن تمـــام عطايـــا جـــمّ أعـــدادهنّ عـــن إحصـــاها

طـــال في مرقـــد الزّمـــان نواهـــا وتنـــاءى عـــن الجـــزاء مـــداها

ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الإدراك أبدها، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتّصالها، واستحمد إلى الخلائق بإجزالها، وثنى بالندب إلى أشباهها، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريكَ له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها،

وتنـــاهى عـــن النّهـــى درْكُ نعمـــى أبـــدَ الـــدّهرِ تســـتمرّ عطاهـــا
ودعاهـــا لتســـتزيدَ نـــداها باتّصـــالٍ بشـــكرِ مَـــن أولاهـــا
وبإجزالهـــا لهـــم طلـــب الحمـــد والثنـــا بنـــدبها الأشـــباها
أُشـــهد الله إنّـــه لـــيس إلاّ اللّـــه ربّـــاً وخالقـــاً وإلهـــا
وحـــده الله لا شـــريكَ لديـــهِ كـــوّن الكـــونَ والبرايـــا بَرَاهـــا
كِلْمـــةُ الحـــقِّ والهـــدى والتعـــالي ولبـــابُ الإخـــلاص في مَغزاهـــا

وإطاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً للفرقة، والجهاد عِزّاً للإسلام، والصبر معونةً على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامّة، وبِرّ الوالدين وقايةً من السُّخْط،

وأقـــرّت لنـــا الإطاعـــةَ حـــتّى يســـــتقيمَ العبـــادُ في مســـراها
وأمانـــاً لكـــم إمامـــةُ أهـــلِ البيـــتِ مـــن فرقـــةٍ تشـــبّ لظاهـــا
ولتعتـــــزّ رايـــــةُ اللهِ في الأرض قضـــى بالجهـــاد ضـــدَّ عـــداها
ولتســـــتوجبوا المثوبـــــةَ أجـــــراً جعـــلَ الصّـــبر سُـــلّماً لاجتناهـــا
وصـــلاح العمـــوم في الأمـــر بـــالمعروف والنّهـــي عـــن مســـيرٍ غواهـــا
واتّقـاءً مـن غضـبة الـربِّ أوصـى الـبِرَّ بالوالـــــدين مَـــــن يخشـــــاها

وصلة الأرحام منماةً للعدد، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة،

وصـــلاتُ الأرحـــامِ منســـاةُ عمـــرٍ ونمـــوٍ لجمـــع مَـــن يرعاهـــا
ولكـــم قـــال في القصـــاص حيـــاةٌ حفـــظ اللهُ في دمـــاهُ دماهـــا
عرضـــة العفـــو مـــن إلـــه البرايـــا مـــن عهـــود النّـــذور قـــد وفّاهـــا
ولحفـــظِ الحقـــوقِ أن تبخســـوها للمـــوازين قـــد قضـــى إيفاهـــا
ولتنـــزيهكم نهـــى عـــن شـــراب الخمـــر حفظـــاً للعقـــل مـــن بلواهـــا
وحجابـــاً لكـــم عـــن اللّعـــن لمـــا حـــرّم القـــذْفَ للنســـاء تياهـــا

وترك السرقة إيجاباً للعفّة، وحرّم الشرك خلاصاً له بالربوبيّة.

فاتّقوا الله حقّ تقاته، ولا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فإنّه إنّما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ.

ثمّ قالت:

وعفافـــاً عـــن الخيانـــة في المـــال ... بـــتركِ السّـــرقات قـــد وصّـــاها

ولكـــي تخلصـــوا العبـــادةَ حقّـــاً ... حـــرّم الشّـــرك والرّيـــاء نزاهـــا

فـــاتّقوا اللهَ ربّكـــم حـــقّ تقـــوى ... واحـــذروا النّـــار جمرهـــا ولظاهـــا

لا تموتـــوا إلاّ علـــى شِـــرْعَةِ الإســـلام ... واستعصـــــموا جميعـــــاً عراهـــــا

وأطيعـــوا بفعـــل مـــا أمـــرَ اللهُ ... وبـــــالتّرك للمنـــــاهي الإلهـــــا

ثمّ قالـــت وجلجلـــت: أيّهـــا النّـــاس ... ورجّ المكـــــانَ رجـــــعُ صـــــداها

اعلموا أنّي فاطمة!

أيّها الناس، اعلموا أنّي فاطمة، وأبي محمّد، أقول عوداً وبدءاً ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططاً: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ

أيّهـــــا النّـــــاس واعلمـــــوا أنّي ... الزّهــراء بنــتُ الهــادي المبشّــرِ طــه

وأُعيـــد المقـــال عَـــوْداً وبـــدءاً ... خــير ذكــرى لِمــن وعــى ذكراهــا

حــاش قــولي مــن غلطــةٍ وتعــالى ... الفعــل مــنّي بــأن يشــطّ تياهــا

قــد تجنّبــتُ غلطــةً واشــتباها ... وتوثّقــتُ حكمــةً وانتباهــا

جــاءكم للهــدى رســولٌ ومــن ... أنفســكم جــاءَ مرشــداً أهــداها

مــا عناهــا علــى النــبيِّ عزيــزٌ ... وحــريص بكــلّ خــيرٍ أتاهــا

بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ).

فإن تعزوه وتعرفوه؛ تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمّي دون رجالكم، ولنعم المعزى إليه - صلّى الله عليه وآله وسلم -.

أيّ بَـــــرٍّ بـــــالمؤمنين رحـــــيمٍ أيّ حصـــــنٍ لعزّهـــــا وحماهـــــا

فـــــإذا مـــــاعرفتموه جليّـــــاً ونســـبتم خـــير الـــورى أزكاهـــا

دون نســـــــوانكم أبي تجـــــــدوه وكفتـــــــني مزيّـــــة أولادهـــــا

وهـــو مـــن دونكـــم أخٌ لابـــن عمّـــي وكفتـــــــه فضـــــيلة يولاهـــــا

ولـــــنعم الّـــــذي إليـــــه انتســـــبنا حينمـــــا الـــــرّب للنفـــــوس براهـــــا

فعليـــــــه وآلـــــــه اللهُ صـــــــلّى وعليـــــه السّـــــلام لا يتنـــــاهى

هكذا أنقذ اللهُ العربَ من الجاهلية

فبلّغ بالرسالة، صادعاً بالنذارة، مائلاً عن مدرجة المشركين ضارباً ثبجهم، آخذاً بأكظامهم، داعياً إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، يكسّر الأصنام، وينكت الهام.

فلقد بلّغ الرّسالةَ للهِ ... وأعلى إنذارَ مَن عاداها

وعلى المشركين مال فأقصى ... عن طريق العباد شرّ أذاها

ضارباً كاهلَ التجبّرِ منهم ... سدّ أكظامهم على مجراها

وعلى حكمةٍ وأحسن وعظٍ ... كان يدعوا إلى سبيل هُداها

كلّما قامَ هيكلٌ صنميٌّ ... هدّه من يد النبيّ عصاها

ينكتُ الهامَ من رؤسٍ ضلالٍ ... قد غواها عن ربِّها طغواها

حتى انهزم الجمعُ وولّوا الدُّبر. حتى تفرّى الليل عن صبحه وأسفر الحقُّ عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وطاح وشيظ النفاق وانحلّت عُقَدُ الكفرِ والشِّقاق، وفهّم بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماص، وكنتم على شفا حفرةٍ من النّار مذقة الشارب

ذاك حـــتّى الجمـــوع ولّـــت جميعـــاً هـــــزم الله جيشـــــها وقواهـــــا
وتولّـــــت أدبارهـــــا واســـــتغاث الجـــــيش أولى صـــــفوفه أُخراهـــــا
وانجلـــى اللّيـــل عـــن منـــارٍ صـــباحاً وروى الحـــــقّ اســـــفرت مرآهـــــا
والشـــياطين حـــين قـــام زعـــيم الـــدين بـــالنطق خرّســـت أفواهـــا
ووشـــيظ النفـــاقِ طـــاح وحُلّـــت عُقَـــدُ الكفـــرِ والشّـــقاق عراهـــا
بشـــفا حفـــرةٍ مـــن النّـــار كنـــتم مذقـــةَ الشّـــربِ مجّهـــا مَـــن دناهـــا

ونهزة الطّامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطَرَق وتقتاتون القدّ والورق، أذلّة خاسئين، تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم.

فأنقذكم الله بمحمّدٍ - صلّى الله عليه وآله وسلّم -

نهـــزة الطّـــامعين جـــاعوا وللعَجْـــلان ... في الـــــدّرب قبســـــةً أوراهـــــا

ومداســـاً كنـــتم لركـــب السّـــرايا ... أيّ هـــونٍ علـــى الّـــذي ســـاراها

إذ تقتّـــــون ورقـــــةً أو قديـــــداً ... وتشـــفّون خـــبط الطريـــق مياهـــا

ومـــــن الـــــذّل خاســـئون همـــود ... ومـــــن النّـــاس خـــائفون أذاهـــا

خـــوف مَـــن حـــولكم إذا مـــا أرادوا ... خطفكـــــم لـــــيس رادعٌ ينهاهـــــا

وقضـــى اللهُ بـــالنبيِّ خـــلاصَ العُـــرْبِ ... مـــــن بوســـــها وشـــــرّ بلاهـــــا

بعد اللُّتيا والتي، بعد أن مُني بهم الرجال، وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب، كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، أو نجمَ قرنٌ للشيطان، أو فغرت فاغرة من المشركين،

فنجـــــوتم إذ ذاك بعـــــد اللُّتيـــــا والّـــــتي مـــــن عـــــذابها وشـــــقاها
بعـــــد أن ردّ للفنـــــــاء علوجـــــاً تتحـــــدّى الكمـــــاة لا تخشـــــاها
بهمـــــا صـــــدّتِ السّـــــبيلَ عليـــــه وذئابـــــاً ليعـــــربٍ أرداهـــــا
ومـــنَ اهـــل الكتـــابِ كـــلَّ عـــتيٍّ مـــــاردٍ ردَّ ضـــــرّها وضـــــراها
كلّمـــا أوقـــدوا إلى الحـــرب نـــاراً أطفـــأ اللهُ عـــزّ شـــأناً لظاهـــا
أو نبـــا للـــرّجيم قـــرنٌ وإمّـــا فـــتح المشـــركون للشّـــر فاهـــا

قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيّداً في أولياء الله،

في خضـــمِّ الأهـــوالِ وســـطَ لهاهـــا ... لا يـــولّي أو أن بـــأخمص رجليـــه

لأصـــــماخ كبرياهـــــا يطاهـــــا ... ســـيفه يخمـــد الحـــروب ولـــولا

ســـــيفه ذو الفقـــــار دام بقاهـــــا ... تلـــكَ ذاتٌ مكـــدودةُ الـــنّفسِ في

الله وفي أمـــــره ارتهـــــانُ قِواهـــــا ... وعلـــيٌّ للمصـــطفى لمعـــةُ الضّـــوءِ

للضـــــوءِ أو لمِـــــن أدناهـــــا ... ســـــيّد المـــــؤمنينَ في أوليـــــاءِ

اللهِ كالبدرِ نيِّراً في سماها

إن عزوناه وجدناه أباك دون النّساء، وأخا إلفك دون الأخلاّء؛ آثره على كل حميم، وساعده في كلّ أمرٍ جسيم، لا يحبّكم إلاّ كلّ سعيدٍ، ولا يبغضكم إلاّ كلّ شقي. فأنتم عترة رسول الله الطيّبون، والخيرة المنتجبون،

إن عزونـــا محمّـــداً لوجـــدناهُ أبـــاكِ مـــن دون كـــلّ نســـاها
دوننـــا اختـــارَ إلفَـــكِ وتـــآخى حـــين أحبـــاب دينـــه آخاهـــا
وعلـــى كـــلِّ صـــاحبٍ وحمـــيم آثـــرَ المصـــطفى عليّـــاً وبـــاهى
ســـاعد المصـــطفى علـــى كـــلّ أمـــرٍ مـــن أُمـــورٍ عصـــت علـــى أقواهـــا
كـــلُّ مَـــن يرتضـــي المـــودّةَ فـــيكم لَســـعيدٌ ومَـــن شـــقى يأباهـــا
أنـــتم الخـــيرة الّـــتي انتجـــبَ اللهُ والطيّبـــونَ: عـــترةُ طـــه

على الخير أدلّتنا، وإلى الجنّة مسالكنا. وأنتِ يا خيرة النساء، وابنة خير الأنبياء، صادقة في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مردودةٍ عن حقّك، ولا مصدودة عن صدقك، والله ما عدوت رأي رسول الله! ولا عملت إلاّ بإذنه، وإنّ الرائد لا يكذب أهله، وإنّي أُشهد الله وكفى به شهيداً أنّي سمعت رسول الله - صلّى الله عليه وآله وسلّم - يقول: (نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث ذهباً ولا فضّةً، ولا داراً ولا عقاراً

وعلى الخير دربنا، وجنان الخلد، أنتم سبيل مَن يهواها
أنتِ يا خيرةَ النّسا بنتَ خيرِ النّاسِ من بدئها إلى منتهاها
قولك الصّدقُ دونَ ريبٍ وأنتِ في وفور النّهى على أرقاها
غير مردودةٍ عن الحقّ شيئاً أو بمصدودةٍ صديق ادّعاها
بيد أنّي سمعتُ يوماً أباك قال لي قبل أن يموت شفاها
معشرُ الرُّسْلِ لا تورِّث داراً أو نُضاراً أو فِضّةً أو شِياها

وإنّما نورِّث الكتاب والحكمة، والعلم والنبوّة، وما كان لنا من طعمةٍ فلو إلي الأمر بعدنا، أن يحكم فيه بحكمه).

وقد جعلنا ما حاولته في الكراع والسلاح يقاتل بها المسلمون، ويجاهدون الكفّار، ويجالدون المردة الفجّار

إنّمـــا العلـــمُ والنبـــوّةُ والحكمـــةُ والـــــذّكرُ إرثهـــــا وثراهـــــا

إنّهـــــم لا يورّثـــــون ســـــواهم مثلمـــا تـــورِّث الـــورى أبناهـــا

كـلّ مـا كـان طعمـةً فلـوالي الأمـرِ مِـــن بعـــدنا كمـــا يهواهـــا

فلـــه دونَ غـــيرِهِ الحكـــمُ فيهـــا كيفمـــا شـــاءَ يســـتطيعُ قضـــاها

وجعلنـــا الّـــذي طلبـــت كراعـــاً وســـــلاحاً وجنّـــــةً لِوغاهـــــا!

لجهـــاد الكفّـــار في ســـاحة الحـــربِ ودَحْـــــرِ الفجّـــــار في لُقياهـــــا

وذلك بإجماعٍ من المسلمين!!

لم أنفرد به وحدي، ولم استبدّ بما كان الرأي فيه عندي، وهذه حالي ومالي، هي لك، وبين يديك، لا تزوي عنكِ ولا تدّخر دونك.

أنتِ سيّدة أُمّة أبيك، والشجرة الطيّبة لبنيك،

هـــاهم المســـلمون بـــينَ يـــديكِ قـــرّروا كلّهـــم علـــى اســـتيفاها

أنـــا لم أنفـــرد بـــذاك لوحـــدي مســـتبدّاً بمـــا ارتأيـــتُ إزاهـــا

ثمّ هـــذا حـــالي ومـــالي لـــديكِ هـــذه ثـــروتي إليـــكِ عطاهـــا

لـــيس تـــزوى الأمـــوالُ عنـــك وإنّي دونـــك لســـت داخـــراً مغناهـــا

أنـــتِ بنـــتُ النـــبيِّ ســـيّدةُ النســـوانِ مـــن أُمّـــةٍ أبـــوك بناهـــا

أنـــت للرّوضـــة المطهّـــرة الأطيـــابِ: أبنـــاك أصـــلها وبناهـــا

لا يدفع مالك من فضلك، ولا يوضع في فرعك وأصلك، حكمك نافذ فيما ملكت يداي.
فهل ترين أن أُخالف في ذلك أباكِ - صلّى الله عليه وآله وسلّم -؟!

ولـــكِ الفضـــلُ لـــيس يـــدفع عنـــكِ مـــــن مزايـــــا جلالـــــكِ أدناهـــــا
ولـــــــك ذروة المعـــــــالي فروعـــــــاً وأُصـــــولا سَمَـــــت بـــــكِ أقصـــــاها
حكمـــــــك الآن نافـــــذٌ فمـــــريني أتريـــــدينَ أن أُخـــــالف طـــــه؟!
قـــد أتـــتهم بحجّـــةٍ مـــن كتـــاب اللهِ كالشّـــــــــمسِ في أتمّ ضـــــــــياها
وأتوهـــــــا بفِريـــــــةٍ لفّقوهـــــــا ليضـــــــلّوا بـــــــذلكم بُسَـــــــطاها
فتصـــدّت ومزّقـــت حجـــبَ الـــزّور وألقـــــت عـــــن الوجـــــوه غطاهـــــا

فقالت (عليها السلام): سبحان الله! ما كان رسول الله - صلّى الله عليه وآله وسلّم - عن كتاب الله صادفاً، ولا لأحكامه مخالفاً، بل كان يتّبع أثره ويقفو سورَه، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزور؟ وهذا بعد وفاته شبيه بما بُغي له من الغوائل في حياته.

وأجابتْ: سبحانَ ربّي! وحاشا ... المصطفى بالّذي افتريتم فاها

لم يكن سيّد الورى يتخطّى ... شِرْعةَ الذّكرِ أو يروم سواها

أو لأحكامه يخالف نهجاً ... وهو يدعو الورى لنهج خطاها

بل لقد كان إثره يتقفّى ... سورَ الذكرِ تابعاً إيّاها

أمع الغدرِ تجمعون عليه الزّورَ؟! ... واها لقولكم ثمّ واها

إنّ ذا بعد موته لَشبيهٌ ... بالّتي في حياته لاقاها

هذا كتاب الله حَكَماً عدلاً، وناطقاً فصلاً، يقول:

(يرثُ ويرث من آل يعقوب)، (وورثَ سليمانُ داودَ)

فبيّن (عَزّ وجلّ) فيما وزّع عليه من الأقساط،

كم من الغدرِ والغوائلِ كيدت ... ضدّه لكن الإله كفاها

هذه المحكمات تنطق فصلاً ... وهي تقضي بالعدلِ في فحواها

سورةُ الأنبياءِ إذ زكريّا ... سألَ الله فسألوا معناها

في (يرثني.. وآل يعقوب) حكمٌ ... لاترى فيه شبهةً واشتباها

وسليمانُ إذ تورّث داودَ ... كمثلِ الأبناءِ من آباها

وأبان الجليل من كلِّ قسطٍ ... وسهامٍ قد وزِّعن مرماها

وشرّع من الفرائض والميراث، وأباح من حظّ الذكران والإناث؛ ما أزاح علّة المبطلين، وأزال التظنّي والشبهات في الغابرين.

كلاّ، (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ).

والمواريـــــثُ والفـــــرائضُ لمـــــا ... فـــــرضَ اللهُ شـــــرْعَها وعطاهـــــا

فلـــــذكرانها حظـــــوظ وأُخـــــرى ... للإنـــــاثى أبـــــاح حـــــين قضـــــاها

مـــــا أزاح الـــــتعلّلات وأقصـــــى ... علّـــــة المبطلـــــينَ في إجراهـــــا

لـــيس هـــذا.. كـــلاّ.. ولكـــنّ أمـــراً ... ســـوّلته نفوسُـــكم مـــن غواهـــا

وعزائـــــي الصّـــــبرُ الجميـــــل وربِّي ... مســـتعاني علـــى عظـــيم جناهـــا

ثمّ لمـــا رأى أخـــو تـــيم أنّ الحـــقّ ... أقـــوى مـــن فِريـــةٍ سمّاهـــا

جواب أبي بكر والاعتراف بالخطأ

فقال أبو بكر:

صدق الله، وصدقّ رسوله، وصدقت ابنته، أنتِ معدن الحكمة، وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحجّة، لا أبعد صوابك، ولا أنكر خطابك.

فضــحَ الحــقُّ كذبَــه وتعــرّى الــزّورُ ... كــالثّلجِ تحــتَ شمــسِ نــداها

ولــدى الصّــبحِ طلعــةٌ إن تبــدّى ... ينمحــي اللّيــلُ في التمــاعِ ســناها

أيــردّ القــرآن أم مَــن أتــاهُ؟ ... أعليــاً يــردّه أم أباهــا

لـيس يُجـدي الإنكـار للشـمس مهمـا ... لجَّ في حجْــبِ نورهــا وضــياها

صــدق اللهُ والرّســولُ وبنــتُ ... المصــطفى فــاطمُ البتولــة فاهــا

معــدنُ الحكمــةِ الأصــيلةِ ركــنُ ... الــدّينِ أنــتِ، وللهُــدى مرســاها

هؤلاء المسلمين بيني وبينك، قلّدوني ما تقلّدتُ، وباتفاقٍ منهم أخذت، غير مكابرٍ ولا مستبدٍ، ولا مستأثرٍ، وهم بذلك شهود.

فاطمة الزهراء توجّه الخطاب إلى الحاضرين

فالتفتت فاطمة (عليها السلام) إلى الناس وقالت:

معاشر الناس!

لستُ مستنكراً عليكِ خطاباً ... أو صوابَ احتجاجةٍ آتاها

هاهم المسلمون بيني وما بينكِ ... فاستوضحي الجموعَ رؤاها

قلّدوني الّذي تقلّدتُ لولا ... القوم ما كنتُ لحظةً أولاها

باتّفاقٍ منهم أخذتُ ربوعاً ... كان للمصطفى الأمينِ رعاها

لا بمستكبرٍ ولا مستبدٍّ ... أو بمستأثرٍ غنيّ ثراها

فأشارت بنت الرّسول إلى النّاس ... وقهرُ المستضعفين طواها

المسرعة إلى قيل الباطل، المغضية على الفعل القبيح الخاسر، أفلا تتدبرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالها؟

كلاّ، بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم فاخذ بسمعكم وأبصاركم،

أيّهـــا المســـرعون نحـــوَ الأباطيـــل تحـــامى عـــن شقشـــقات رغاهـــا
أتغضّـــون عـــن قبـــيح فعـــالٍ هـــي مـــن أخســـر الّـــتي تغشـــاها
أفـــلا يـــا عصـــاة تـــدّبّرون الـــذّكرَ أم ملّـــت النّفـــوسُ هـــداها
أمْ بأقفالهـــا اســـتبدّت قلـــوبٌ فاســـتحبّت علـــى الرّشـــاد عماهـــا
لـــيس بلـــه القلـــوب رانَ عليهـــا للّـــذي قـــد أســـأتموه صـــداها
ولهـــذا بســـمعكم أخـــذ اللّـــهُ وأبصـــاركم فـــأعمى ضـــياها

ولبئس ماتأوّلتم وساء ما به أشرتم، وشرّ ما منه اغتصبتم.

لتجدنّ - واللهِ - محمله ثقيلاً، وغبّه وبيلاً، إذا كشف لكم الغطاء وبان ما وراء الضرّاء، وبدا لكم من ربّكم ما لم تكونوا تحتسبون، وخسر هنالك المبطلون.

بـــئسَ نهـــج أوّلتمـــوه ضـــلالاً وســـفاها لمـــا أشـــرتم ســـفاها

شـــرّ مـــا اعتضـــتموا بآســـن مـــاءٍ مـــن غـــديرٍ ترقرقـــت أمواهـــا

ســـــتلاقون والعظـــــيم ثقـــــيلاً محمّـــــلاً لأ يطيقـــــه ثقلاهـــــا

أذلّكـم كشّـف الغطـاء وبـان الضـرّ ممّـــا جنـــت يـــداكم وراهـــا

وبـــدت مـــن إلهكـــم ســـطواتٌ لم تكونـــوا لتحســـبوا أدناهـــا

وهنـــا كـــم ســـتعلمون هنـــا كـــم خســـر المبطلـــون في عُقباهـــا

وعادت فاطمة إلى دار عليّ (عليه السلام)، ثمّ انكفأت (عليها السلام).
وأمير المؤمنين (عليه السلام) يتوقّع رجوعها إليه، ويتطلّع طلوعها عليه.
فلمّا استقرّت بها الدار قالت لأمير المؤمنين (عليه السلام):
يا بن أبي طالب!

ثمّ مالـــــت إلى ضـــــريحِ أبيهـــــا تـــودعُ المصـــطفى الأمـــينَ شـــكاها
وتـــوارت كســـيرةَ القلـــبِ عـــنهم فلقـــد خيّـــب الجميـــعُ رجاهـــا
ثمّ عـــادت لـــدارها ودمـــوعُ الوجـــدِ خطّـــت علـــى الخـــدود خطاهـــا
وأمـــــيرُ الإيمـــــانِ في كـــــلّ آنٍ كـــان يرجـــو طلوعهـــا ولقاهـــا
وهنـــا كـــم لمـــا اســـتقرّ بهـــا الـــدار تمـــادى الأســـى بصـــدر شـــكاها
فرمـــت نحـــوه بطـــرفٍ كســـيرٍ وجـــرت في دموعهـــا عيناهـــا

استنهاض الإمام الممتَحَن!

اشتملت شِمْلة الجنين، وقعدت حجرة الظنين

طمعـــت أن تثـــير فيـــه علـــيّ العـــزم ... والنّجـــــدةِ المـــــدوّي صـــــداها

وبطـــــولات خيـــــبرٍ وحُنـــــينٍ ... ومروءاتـــــه الّـــــتي أبـــــداها

فلعـــلّ الّـــذي مضـــى مـــن ميـــاه النّبـــعِ ... غفـــــلاً يعـــــود في مجراهـــــا

خاطبتـــه يـــا بـــنَ المحـــامي أبي طالـــبٍ ... زيـــــن الرّجـــــال رمـــــز إباهـــــا

كيـف يـا فـاتحَ الحصـونِ اشـتملتَ اليـومَ ... مـــــن شملـــــة الجنـــــين رداهـــــا

قاعـــداً حجـــرةَ الظّنـــينِ كـــأن لم ... تـــــكُ للحـــــرب ســـــيفها وفتاهـــــا

نقضت قادمة الأجدل فخانك ريش الأعزل.
هذا ابن أبي قحافة يبتزّني نِحْلة أبي وبُلْغة ابنيّ.
لقد أجهر في خصامي وألفيته الألدّ في كلامي، حتى حبَسَتني قيلةُ نصرَها

أوَ مـــا قـــد نقضـــت مـــن أجـــدلِ الطـــيرِ قـــواديمَ يُتّقـــى بأســـاها
كيـف قـد خـانَ أعـزلُ الـريشِ شـهماً كـــان في كـــلّ وقعـــةٍ (لا فتاهـــا)
أوَ يبتزّهـــــا نُحَيْلـــــة... طـــــه بُلغَـــةَ ابـــنيّ يســـتحلّ جناهـــا
جـــاهراً في عـــداوتي دون تقـــوىً ماضـــياً في خصـــومتي أقصـــاها
قـــد وجـــدت العنيـــد لازال خصـــماً مـــن ألـــدِّ الخصـــامِ في دعواهـــا
ذاك حـــتّى الأنصـــار قـــد حبســـتني النّصـــرَ واســـتعفتِ الحمـــاةُ حماهـــا

والمهاجرةُ وصلَها، وغضّت الجماعة دوني طرفها؛ فلا دافع، ولا مانع.

خرجتُ كاظمةً، وعدت راغمة، أضرعت خدّك يوم أضعت حدّك، افترسَتِ الذئاب وافترشتَ التراب.

وقـــــرابى المهـــــاجرين ربـــــاطُ الوصـــل قُـــدّت ومُزّقـــت قرباهـــا

والجماعـــات غضّـــتِ الطّـــرفَ عـــنّي وكـــأنّي مخاطـــبٌ مـــا ســـواها

لـــيس مـــن دافـــعٍ مهجّجـــة الظلـــمِ ولا مـــــانعٍ ألـــــيم أذاهـــــا

رحـــتُ مكظومـــةً بصـــبريَ خســـرى ثمّ مرغومـــــةً رجعـــــت وراهـــــا

حـــدّك الحـــقّ قـــد أضـــت فأضـــحى ضـــارعاً خـــدّك الّـــذي لا يُضـــاهى

افترســتَ الـذّئابَ كيـف افترشـتَ اليـومَ وجـــه الـــتّرابِ مـــن بوغاهـــا

ما كففتَ قائلاً، ولا أغنيتَ باطلاً، ولا خيار لي؛ ليتني متّ قبل هينتي ودون ذلّتي.
عذيري الله منك عادياً، ومنك حامياً.
ويلاي في كلّ شارق!
مات العمد ووهن العضد!

مـــا كففـــتَ المهـــرّجينَ مقـــالاً وعـــنِ الظّـــالمينَ شـــرَّ أذاهـــا
وأنـــا لا خيـــار لي.. فلـــو انّي كنـــتُ أســـتطيع أن أردّ بلاهـــا
ليتـــني قبـــل هينـــتي كـــان مـــوتي والـــرّدى دون ذلّـــتي أُســـقاها
فكفـــاني محاميـــاً وكفـــاني منـــكَ ربّي مـــن العـــدى عـــدواها
آه.. ويـــلايَ كلّمـــا طـــلّ صـــبحٌ فـــوق دنيـــاً مـــن الأســـى ويلاهـــا
قـــد تـــوفّى العمـــادُ فانهـــدّ مـــتّي عضـــدُ العِـــزِّ والرّجـــاءِ وراهـــا

شكواي إلى أبي!
عدواي إلى ربّي!
اللهمّ أنت أشدّ قوةً وحولاً، وأحدّ باساً وتنكيلا.

فشِـــكاتي إلى أبي ولـــربِّ العـــرشِ عـــــدوى ظلامـــــتي مرســـــاها
يـــا إلهـــي لأنـــتَ أعظـــمُ بأســـاً وأشـــــدُّ النّكـــــال في عُقباهـــــا
هـــزّه في خطابهـــا الوجـــدُ والمجـــدُ وعـــــزُّ الإيمـــــانِ في تقواهـــــا
وهـــو لـــولا وصـــيّة مـــن نـــبيّ اللّـــه أحـــــرى بـــــأن يجيـــــبَ نـــــداها
ويعيـــــد الأُمـــــور ظهـــــراً لـــــبطنٍ وينيـــــــل المنـــــــافقين جزاهـــــا
فهـــو في البـــأس لا يُدانيـــه بـــأسٌ وهـــو أقـــوى بـــاللهِ مـــن أعـــداها

كيـــف لا وهـــو في الحـــروب جميعـــاً قطـــبُ مهراســـها وجمـــرُ وغاهـــا
منعـــت ســـيّد الـــوغى أن يثـــيرَ الحـــربَ أنّ الأُمـــورَ في مبـــداها
كـــان ديـــنُ الإســـلامِ عـــوداً طريّـــاً والجمـــاهيرُ هشّـــةً في انتماهـــا
أشـــفقَ المرتضـــى علـــى نبتـــةِ الإســـلامِ مـــن فتنـــةٍ تشـــبّ لظاهـــا
غـــارسُ الرّوضـــةِ البهيّـــةِ أولى أن يحـــامي بروحـــه أفياهـــا
وهـــو ثـــاني بُناتهـــا والمـــروّي زرعَهـــا الغـــضَّ وهـــو حـــامي حِماهـــا

فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

لا ويل عليكِ، الويل لشانئك.

نهنهي عن وجدكِ يا ابنة الصفوة، وبقيّة النبوّة، فما ونيتُ عن ديني ولا أخطأت مقدوري.

فإن كنتِ تريدين البُلْغة فرزقك مضمون

قال مهلاً بنتَ النبوّةِ مهلاً ... إنّما الصّبرُ للتّقاة حلاها

مالك الويل بل لشانئك الويلُ ... وأقسى العذابِ في أُخراها

يا ابنةَ الصّفوة الصّفيّة عطّر ... النّور بقيا نبوّةٍ أبقاها

نهنهي النّفسَ وجدَها واستقرّي ... حان للنّفس أن تريحي جَواها

فعنِ الدّين ما ونيتُ وعمّا ... قدّر اللهُ ما خطوت اشتباها

فاطمئنّي لبُلْغةِ العيشِ أنّ اللّه في ... سابق الزّمان قضاها

الكلمة الأخيرة لفاطمة!

وكفيلك مأمون، وما أعدّ لك خير ممّا قطع عنك، فاحتسبي الله.

فقالت: حسبي الله، وأمسكت.

وكفيـــــل ابنـــــة النّـــــبيِّ أمـــــينٌ ... وَهُـــــوَ اللهُ حـــــافظ إيّاهـــــا

وجنـــانٌ قـــد مُهّـــدت لـــك خـــيرٌ ... مـــن قـــرىً حرمـــوك عـــن مغناهـــا

فلـــــكِ اللهُ جـــــلَّ فاحتســـــبيه ... هضـــمة الحـــقّ حـــاشَ أن ينســـاها

فأجابـــــت (اللهُ حســـــبي) وقـــــرّت ... وعلـــى الـــدّهرِ رنّـــةٌ مـــن صـــداها

ومضـت إذ مضـت علـى القهـر حسـرى ... ثمّ ماتـــــت مطويّـــــةً بأســـــاها

الشهادة..

كفـــاني أســـىً لا تـــوقظنّ جراحيـــا ودعْ وجـــدَ قلـــبي في مطاويـــه ثاويـــا
أرى الحـــقَّ يهـــدي إن ملكـــت بصـــيرةً ولـــيس لأعمـــى الفكـــرِ والقلـــبِ هاديـــا
هـــو العقـــل يهـــدي مَـــن يـــرومُ هدايـــةً ومَـــن رامَ مهـــواة الضّـــلال المهاويـــا
إذا أنـــتَ أنكـــرتَ الصّـــباحَ وضـــوءَه فحظّـــك قـــد أنكـــرتَ لا الصّـــبحُ ضـــاحيا
فـــلا الشّـــمسُ يخبـــو نورهـــا لمعانـــدٍ ولا اللّيـــل يهـــدي للطّريقـــة ســـاريا
ومـــا الـــنّجم في جـــوّ السّـــماء يضـــيرها على الأرض أعمـى ينكـر الـنّجمَ ضـاويا
بصـــائر فـــافتح في الضّـــمير شـــعاعَها تـــرى الـــدّهرَ دوّاراً علـــى الغـــدرِ طاويـــا

على خاطري ذكرى وفي القلبِ لوعةٌ ... يصعِّد من جمر المصائب آهيا

دعِ العينَ يسقي الجرح فالقلب لاهبٌ ... ضراماً ودع في النّائبات سؤاليا

غداةَ بدار الوحي ألقت رحالها ... قوافلُ حزنٍ مثقلات مآسيا

وسلْ قصّةَ الغدْرِ القديمِ سقيفةٍ ... فثمّةَ عادت دورةُ الشّرك ثانيا

وسلْ عن أراكٍ هاطلاتٍ دموعها ... وعن فَدَكٍ سلْ قهرَها والخوافيا

وعن بيتِ أحزانِ المدينةِ حزنِها ... ودمعٍ جرى فيها ولازال جارياً

وقبر رسول الله مرّ أنينها ... وعن طول شكواها المرير اللّياليا

وعرّج على بيت البتولةِ فاطمٍ ... فإنّ أنينَ الدّارِ يكفيك هاديا

تأنُّ وقد هدَّ الفراقُ قرارَها ... وذوّبها جِلْداً على العظمِ ذاويا

إلهيَ! قد هدَّ الأسى قلبَ فاطمٍ ... ولم يُبق إلاّ الوجدَ والحزنَ واريا

فـــوا وحشـــة الأيّـــام بعـــدَ محمّـــدٍ ... ووا ذلّـــــة الأيّـــــام ممّـــــا دهانيـــــا

رمتـــني مصـــيباتُ الزّمـــانِ لـــوَ انّهـــا ... رَمَـــتْ وضـــحَ الأيّـــامِ صـــرنَ لياليـــا

ألهـــيَ قـــد عفـــتُ الحيـــاةَ وأهلَهـــا ... فعجِّـــلْ وفـــاتي لا أُريـــدُ حياتيـــا

ومـــا طـــالَ مـــن بعـــدِ الحبيـــبِ فراقُهـــا ... وســـرعانَ مـــا كـــان الفـــراقُ تلاقيـــا

علـــى الجمـــرِ أتلـــو ذكريـــاتِ بلائِهـــا ... تمـــرُّ علـــى قلـــبي فأنســـى بلائيـــا

غـــداةَ علـــى دارِ البتولـــةِ جمّعـــا ... جموعـــاً مـــن الغوغـــاء ضـــلّت مراميـــا

علـى بـابِ دارٍ كـان للـوحي والهـدى ... منـــاراً وميعـــاداً وللـــدّين راعيـــا

فجـاءت وقـد مـضّ المصـابُ فؤادَهـا ... تنـــادي بـــه مـــا للعتيـــق ومـاليـــا

ويـا ويلكـم! في الـدّار أحفـادُ أحمـدٍ ... أبالنّـــار جئـــتم تحرقـــونَ صـــغاريا

أبـــوا وأصـــرّوا في العنـــادِ وأضـــرموا ... علـى البـاب أحطـاب الضّـغائن ضـاريا

فــدارتْ إلى جنــبِ الجــدارِ ولم يكــنْ سـوى البـابِ يحميهـا الهجـومَ المعاديـا
ولجّــوا بــه دهســاً وقــد هــدّه اللّظــى وردّ علــى أضــلاعِها البــابُ داويــا
فـويلي لبنـتِ المصـطفى حـين حُوصـرت تنــادي أباهــا والوصــيَّ المحاميــا
أكــان علــى مــرأى الإمــامِ ومســمعٍ غــداةَ أصــابوا ضــلعَها؟ لســتُ داريــا؟
سـلِ البـابَ والمسـمارَ ثمّـةَ مـا جـرى تفاصــيلُ آلامِ البتولــةِ وافيــا
هــوت وهــوى وردٌ تكسَّــرَ غُصْــنُه عزيــزاً علــى بيــتِ النّبــوّةِ غاليــا
وداروا علــى ليــثِ العــرينِ بــدارِهِ وبالحبــلِ قــادوا ســيّدّ القــومِ نائيــا
يصــيح ألا وا جعفــراهُ ولا أخٌ ويــدعوا ألا وا حمزتــاهُ محاميــا
وتســألني عــن فــاطمٍ ومصــابِها تفاصــيلُ مأســاةٍ توالــت مآســيا
فسـلْ ليلـةً تخفـي الجـروحَ بمتنهـا ونعشـاً علـى كـفِّ الأحبّـةِ عاليـا

وسلْ عن يتامى فاطمٍ عمرَ فاطمٍ ... وعن حسنٍ سلْ والحسينِ المراثيا

وعن قاهرِ الأحزابِ فاتحِ خيبرٍ ... إذ انهدَّ وهو الشّامخُ الطّودُ باكيا

يقول أيا ماضونَ بالنّعشِ مهلةً ... فما بعد هذا اليوم أرجوا تلاقيا

دعوها يودّعها اليتامى فإنّها ... مضتْ لم تودِّعْ حينَ غابتْ صغاريا

ويا نعشُ رفقاً بالعزيزةِ إنّها ... مجرّحةٌ لا تخدش الجرحَ ثانيا

ألا آجرَ اللهُ الوصيَّ.. وكفّه ... تدسُّ إلى عمقِ التّرابِ الأمانيا

رنا نحوَ قبرِ المصطفى ودموعه ... تشاطرُه أحزانَه والتّعازيا

وديعتُك الزّهراءُ عادتْ كما ترى ... ولكنّها عادتْ وليستْ كما هيا

مكسّرة الأضلاعِ مقهورة الهوى ... مقرّحة الأجنان حمراً مآقيا

فسلْ كعبةَ الأسرارِ حالي وحالَها ... وسلْ قبلةَ الأحزانِ حزنيَ وافيا

فكـــم مـــن غليـــلٍ لا يـــزالُ بصـــدرها مقيمـــاً ومـــا بثّـــتْ إليَّ الشّـــكاويا
ســـتعرفُ عـــن مســـودَّة المـــتنِ مـــا بهـــا وتعلـــمُ عـــن محمـــرَّةِ العـــينِ مـــا بيـــا
وديعـــة كنـــزِ العـــرشِ عـــادتْ لـــدارها وقـــرّت ولكـــن ســـلّبتني قراريـــا
علـــى زفـــراتِ الحُـــزْنِ نفســـي حبيســـةٌ فيـــا ليتهـــا قـــد رافقـــتْ زفراتيـــا

الفهرس

الإهداء ٥

الفصل الأوّل: بين يَدَي الخطاب العظيم ٧

بين يَدَي الخطاب العظيم ٩

المناورة ١٢

فدك.. عبر التاريخ ١٣

المطالبة بفَدَك.. والمطالبة بالخلافة ١٦

(وهكذا هُزم الخصم) ١٧

تأمّلات في نصوص الخُطْبة المعجزة ١٩

الانقلاب على خطّ الرسول الأعظم! ٢١

الدعوة إلى النهضة ٢٢

الإنذار من المستقبل الخطير ٢٤

الحديث الفِرية، ومحاولات التغطية ٢٥

قصّة (القصيدة الشِّعْريّة) ٢٩

شريف مكّة: وقصيدته الهائيّة ٣٠

الفصل الثاني: وجاءت فاطمة.. ..... ٤٣

فدك.. ..... ٤٥

الفصل الثالث: الخُطْبة - المعجزة ٥١

الثناء على الله ٥٣

اعلموا أنّي فاطمة! ٥٨

هكذا أنقذ اللهُ العربَ من الجاهلية ٦٠

دور الإمام عليّ (ع) في بناء الإسلام ٦٤

الحديث - الفِرية - ٦٦

الدفاع الهزيل ٦٧

الحديث فِرْية والرسول لا يُخالف القرآن ٧٠
جواب أبي بكر والاعتراف بالخطأ..... ٧٣
فاطمة الزهراء توجّه الخطاب إلى الحاضرين..... ٧٤
استنهاض الإمام الممتَحَن! ٧٨
الكلمة الأخيرة لفاطمة! ٨٥
الشهادة.. ..... ٨٦